في شراء أي شيء أو حتى في الذهاب الى السينما أو في التفرج على أمجاد رومه القديمة. لقد مشيت ومشيت وحدي وكنت افكر تفكيرا عميقا بمهمتي واستعيد الى الذاكرة تفاصيلها .

غادرت الفندق في الصباح الباكر من التاسع والعشرين من شهر آب الى مطار فيوميسينو في ضواحي رومه . ومما يبعث على السرور أنه لم تحصل أي عقبات عدا تأجيل الرحلة نصف ساعة . أما رفيقي الذي لم أكن أعرفه الا بالاسم والصورة فقد ظهر حسب الخطة وقام بالاشارات المناسبة ليؤكد هويته ، انه سليم عيساوي ، فلسطيني من حيفا نشأ في سوريه . وجلس سليم بالقرب مني بهدوء وتصرف وكأن أحدنا لم يكن يعي وجود الآخر. وهنا برز الوضع الانساني مرة ثانية : هذه المرة ظهرت طفلة صغيرة وعلى صدرها اشارة تقول « اكسب الاصدقاء » ، الامر الذي ذكرني وأنا أرقب تلك الطفلة بفرح وسرور وهي تداعب اختها الصغرى ، ان هذه الطفلة لم ترتكب أي جريمة بحقي أو بحق شعبي وان من الحماقة أن أعرض حياتها للخطر باختطافي الطائرة وهي لا تفهم المعنى والقيمة الرمزية لعملي . وكان من الممكن أن تنفجر الطائرة أثناء محاولتنا السيطرة عليها أو تتحطم وتهوي بنيران اسرائيل المضادة للطائرات عندما ندخل « أجواءها » . وبينما كان وخز الضمير يعذبني ارتسم أمام ناظري تاريخ فلسطين وأطفالها بأسره : رأيت كل شيء منذ اليوم الاول لطردنا من أرضنا ومرورا بسنوات الحرمان والجوع وسوء التغذية والحفاء التي عانى منها شعبي وشهدت كل شيء آخر حتى اللحظة التي وقعت عيناي فيها على شارة الصداقة على صدر تلك الطفلة البريئة . وفجأة ارتسمت أمامي صورة شاملة لمئات مخيمات « اللاجئين » الفلسطينيين من أبناء شعبي وتذكرت كل صفحة من صفحات كتاب الرفيقة منى السعودي « شهادة الاطفال في زمن الحرب » . وبدا لي وكأن أطفال مخيم البقعة قرب عمان الذين شردوا مرتين يقفون أمامي مثل حشود ذليلة صارخين : « ونحن أيضا أطفال ونحن جزء من البشرية » . وعزز هذا المشهد عزيمتي بصورة هائلة ، قلت بعدها لنفسي : « أي جريمة ارتكبت انا وشعبي ضد أي انسان كي نستحق المصير الذي نعاني ؟ » وأجبت نفسي بنفسي : « لم نرتكب أية جريمة بحق أي انسان » . يجب ان تنفذ العملية ولن يكون هناك شك أو تراجع . لقد تكلم أطفالنا .

وفي الطريق الى الطائرة وقعت حادثة أخرى . لقد كنت في الباص الثاني عندما اقترب مني شاب وسيم في أوائل الثلاثينات من العمر وحياني بطريقة مضطربة جدا . فرددت التحية بهدوء وأنا أقرأ كتاب « صديقي تشي » الذي كتبه ريكاردو روجو . وبدا وكأن الشاب كان راغبا جدا في التحدث الي . سألني من أنا والى أين ذاهبة . لكنني لم أستطع هذه المرة أن أكرر رواية الزواج كما لم أستطع أن أرتجل شيئا بسرعة . ثم قلت له « احزر » . فقال : « يونانية ، اسبانية ، ايطالية ؟ » وأجبته بالنفي وتابعت الكلام بالسؤال : « من أين أنت » . أجاب : « من شيكاجو » . واستأنف الشاب أسئلته : « لا أعتقد أنك من اميركه الجنوبية ؟ » وبعد أن عرفت من أين هو ارتأيت ان أقول له أنني من أميركه الجنوبية لان ذلك قد يجنبني أي أسئلة اضافية محرجة . فقلت انني من أميركه الجنوبية . وهنا سألني وهو يغمرني بنظرات الاعجاب والتطلعات الغرامية : « أأنت من البرازيل ؟ » قلت : « انك تقترب من المكان الحقيقي » . « بوليفيه ؟ » قلت : « نعم ، ولكن كيف عرفت ؟ » أجاب : « كتابك هو الذي دل عليك » . وسألته رأيه في تشي فأجاب : « انه رجل طيب » . ثم انتقلت الى موضوع آخر : « الى أين أنت ذاهب؟» قال : « الى أثينا كي أرى أمي . لم أرها منذ خمس عشرة سنة . انني أراهن أنها هناك الان تنتظرني في المطار . انني سعيد جدا بالعودة الى أثينا » . لقد أدهشني ذلك وكدت أقول له : من الافضل لك أيها الغبي أن تغادر هذه الطائرة لانها ليست ذاهبة الى أثينا . وحاولت أن أتجاهله وأقفل أذني لأحول دون وصول صوته الى ضميري . وألقيت ببصري